فـــي الكليـــة العسكريـــة

عندما دخلت الكلية العسكرية كسبت منذ البدء ثقة الأساتذة بقدراتي الرياضية. كان عندنا أستاذ فرنسي للرياضيات بقي مدة أسبوعين يعالج مسألة رياضية كانت قد أعطيت لطلاب الدراسات العليا في فرنسا.. دخل الصف متباهيا وقال لنا " سأعطيكم هذه المسألة تتسلون بها.. وكتبها لنا على اللوح. سجلت المسألة وأخذتها معي الى الباحة في فرصة الضحى مباشرة بعد درس الرياضيات، وبعد نصف ساعة كنت قد حللتها.. قابلت الأستاذ وقلت له "هاك الحل" نظر الي في استهجان وقال "غير معقول، أنا منذ أسبوعين أعالجها حتى حلت معي فكيف فعلت ذلك ؟ كان ذاهلا وأنا أشرح له: وضعت نقطتين ووصلتهما بخط واتضح كل شيء.. وكان الشرح من البساطة والسهولة بحيث أفحم. قال "لقد استخدمت طريقة هندسية واستخدمت أنا الطريقة الجبرية.. على كل حال هذا اكتشاف أهنئك عليه".. وما لبثت الكلية بأسرها أن علمت بالخبر.. وجاءني مدير الكلية وقال لي "مسيو بزري! ماذا فعلت لأستاذ الرياضيات؟ يكاد يجن! " وأصبح أستاذ آخر للتاريخ يقول لي اذا رآني عابسا "مسيو بزري، أنا لا أستطيع أن أعطي الدرس اذا رأيتك عابسا". وذات يوم شكاني ضابط الى المدرس وقال له "انه يكره الفرنسيين!" وكان يبغي التقرب من الضابط الفرنسي بالدس علي، فاذا به يفاجأ بردود فعل ساخطة من المدرب أذهلته: "كيف تجرؤ على الوقيعة برفيق دورتك؟ انك لا تتحلى أبدا بالأخلاق العسكرية "ووضع على اسمه اشارة "يطرد عند أول سوء تصرف". وأعيق ترفيعه عامين. لقد حقد علي هذا الضابط دون أن أدري. وذات يوم سرقت قلنسوتي وسلاحي وأخفيت في حفرة في مكان متطرف من ساحة الكلية لايقاعي بالمتاعب، وحامت الشبهات حول ذلك الضابط حين اكتشفت بعد مرور بضعة أشهر مصدئة تالفة في حفرة في باحة الكلية التي كانت تسوى في ذلك الحين. وهذا الضابط بالذات أنقذته أنا من الطرد حين اقترف ذنبا، تحملت أنا مسؤوليته باعتباري رئيسه المباشر أمام مدير الكلية الذي قال لي "من أجلك فقط أعفو عنه، من أجل شهامتك ونبل أخلاقك بالرغم أنه لا يستحق هذا منك، فهو دائما كان يدس عليك ويشي بك الينا"..

كان والدي كما سبق وذكرت رئيس محكمة في حماه، ودرست فيها ثم في حلب دراستي الثانوية. وفي حماه تعرفت على أكرم الحوراني وكان يكبرني بعامين، فهو من جيل أخي صلاح، ومن رفاقي ورفاقه. ولما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق كنت مرشح ملازم في الجيش الذي دخلته عام 37 - 38 وقد التحقت بهذه الثورة مع ثلاثة ضباط هم: صبحي العقيلي وفاتح الأوبري ومحمد صفا وهو شيعي من لبنان. (ولقد قتل الأوبري فيما بعد في حملة لتهدئة الأكراد المريدين برصاصة طائشة. والعقيلي قتل خطأ وزميله ينظف مسدسه). ولكن ثورة الكيلاني فشلت وقضي

عليها فعدنا أدراجنا دون أن نقوم بأي عمل فيها واختبأنا فترة من الفرنسيين، مدة عام ونصف، ثم عدت الى الجيش بعد الكف عن ملاحقتي في منتصف عام 1942

-أليس محمد صفا هو الذي حدثتني عنه بأنه كان يريد بعد نجاح انقلابه أن يضع الضباط في الجرادل ويتركهم ليموتوا في الصحراء؟

-إنه هو. عام 54 كان مع شكري القوتلي ويريد أن يقوم بانقلاب يقضي فيه على الضباط التقدميين، وكان يعتبرني منهم. وله قصة معي حين كنت أدرس في فرنسا زمن الشيشكلي. جاءني وقال لي "هناك غواصة فرنسية مليئة بالسلاح يمكن أن تنقلك سرا الى ميناء اللاذقية للقيام بثورة في جبال العلويين للإطاحة بحكم الشيشكلي. كان ذلك بعد مقتل العقيد محمد ناصر عام 51.. صحيح أنني كنت معاديا لحكم الشيشكلي شأني في مناهضة كل الديكتاتوريات ولكنني لم أكن أريد أن يكون التحرير منه بمساعدة الفرنسيين. حرت في أمري، فلو سكت لما توقفت المؤامرة ولاستمرت بمساندة الفرنسيين وليس من المعقول أن أشترك فيها. كان ملحقنا العسكري في فرنسا صديقي صبحي عبارة فذهبت اليه وأخبرته بما جرى. قال لي "سأذهب في الحال الى دمشق". ولما علم الشيشكلي بالأمر استدعى السفير الفرنسي ووبخه على موقف فرنسا العدائي من سوريا، وعلى اثر ذلك طرد محمد صفا من فرنسا ..

كان صلاح الطرزي رئيس وفد لجنة الهدنة التي كنا أنا وناصر عضوين فيها، أما أخي صلاح فقد أبعد عن رئاسة الشعبة الثانية زمن الشيشكلي في ذلك الحين، وسجن ليتم تسليم الشعبة الى ابراهيم الحسيني الذي قام باغتيال العقيد محمد ناصر.

* * *